من شؤون المسلمين والعالم

النفط . . والسياسة . . والسلاح

من الحقائق التي أصبحت ثابتة لا يجهلها أحد ، ولا ينكرها أحد أيضاً :

١- البلدان الإسلاميّة ولا سيّما العربيّة الخليجية تملك طاقة نفطية ضخمة تعتبر الأساس الأوّل للوضع الــصناعي الحديث في العالم العربيّ

٢- البلدان الإسلاميّة ولا سيما العربية الخليجية هي أقلّ بلدان العالم تسلّحاً رغم ما أنفق حتى الآن علــى هــذا الصعيد ، وأسلحتها لا توازي من حيث مستواها التقنيّ أسلحة سواها من البلدان الأفقر والأصغر والأقــل تعرّضــاً للخطر .. وأنّ مصدر السلاح الأوّل في الوقت الحاضر -ما دامت بلادنا لا تصنّعه- هو ذلك العالم الغــربيّ الــذي يستورد النفط بسعر لا يزال زهيداً بالمقارنة مع الأسعار الأخرى لمختلف المنتجات القادمة من الغرب

٣- القاعدة في التعامل السياسي المعاصر هي قاعدة المصلحة في الدرجة الأولى ، والأصل في أية دولة تحترم نفسها أن تسخّر سائر طاقاتها ومكانتها العالمية لخدمة مصالحها ، والأصل في البلدان الإسلاميّة أن تكون لها مــصلحة عليــا مشتركة .. تجعلها في مستوى صنع الأحداث لصالح مستقبل مجموع المنطقة

ومن الحقائق الثابتة أيضاً ، ولكنّها لا تزال في بعض الأحيان موضع التمويه أو الإنكار :

١- الدول الإسلاميّة النفطية ، ولا سيّما العربية الخليجية تمارس سياسة إنتاج النفط بأعلى الكميات ، مما يزيــد على حاجة الاستهلاك الغربيّ نفسه وتزيد عائداته على حاجة البلدان المنتجة .. وبالتالي فهي تضغط علــى الأســعار بصورة واضحة ، وكأنها (تريد) أن تحصل على عائدات أقل ! .. أو أنّها (تريد) أن تبقى هي بسياستها واقتــصادها مرتبطة بالعالم الغربيّ وألاّ يتعدّل ذلك إلى درجة (التساوي أو التوازي) في ارتباط كلّ طرف بالآخر

٢- الدول الإسلاميّة النفطية ، ولا سيّما الخليجية سلكت سائر السبل لزيادة تسليح نفسها ، وزيادة اعتمادهــا على نفسها أمنياً -وذاك ما تقول به المواقف والتصريحات الرسمية على الأقلّ- وكانت تواجه بما يمكــن تــسميته -للأسف- بالصفعة بعد الصفعة من جانب تلك الدول الغربية المستوردة لنفطها .. فهذه ترفض إرسال دبابات حديثة لها ، وتلك تمتنع عن إرسال تجهيزات إضافية فعّالة لطائراتها ، وتزوّد أعدى أعدائها بأضعاف ما تزودها به ..

٣- حقيقة أنّ الولايات المتحدة الأمريكية مهيمنة سياسياً وعسكرياً في دول المنطقة وأنّها تريد توسيع نطاق هيمنتها وتثبيتها .. أمر ثابت أيضاً ، وقول تلك الدول إنّها تريد (البقاء بعيداً عن نفوذ الدولتين الكبيرتين وصراعهما) يتنافى مع هذه الحقيقة .. والأصل في التعامل السياسيّ الواقعيّ المعاصر ، أن تؤدي الصفعات على صعيد السلاح - على الأقلّ- والإعلان المتكرّر من جانب العالم الغربيّ أنّ وسيلة (حماية الدول الخليجية) لا يمكن أن تتمثّل إلاّ في (الوجود المباشر الأمريكي) .. الأصل أن يؤدّي ذلك بالمنطق السياسي المعاصر إلى ردّ حقيقيّ ، ولا نزال نفتقد هذا الردّ الحقيقيّ إلى اليوم

إنّنا بدلاً من ذلك نجد عدداً من الحقائق الثابتة أيضاً :

- الاستمرار العجيب في سياسة (رفع الإنتاج وخفض الأسعار) على صعيد تصدير النفط الخام

- الاستمرار العجيب في سياسة اقتصادية تعتمد على البقاء في دور التبعية للاقتصاد الغربيّ من جهة ، وخدمته داخل تلك الدول الغربية (المعادية) بالقروض المالية المباشرة وغير المباشرة من جهة أخرى

- الاستمرار العجيب في الإعلان عن تلك الدول بأنّها (صديقة) يجب الحرص كل الحرص على استمرار (الرفاهية الاقتصادية فيها) ..

- ثمّ البحث عن كلّ حلّ لقضية مصيرية في أرضنا -ولا سيّما على صعيد فلسطين -عند تلك الدول ، يقصدها حكّامنا زوّاراً ، ويستقبلون مبعوثيها الواحد تلو الآخر للقيام بأدوار وساطة مزعومة ، ويفسّرون ويبرّرون من مواقفها ما لا يفهم في الأصل أنّه سياسة عدوانيّة صرفة

- وفوق ذلك كلّه أيضا : المضيّ في تنفيذ مخطّطات تلك الدول الغربية داخل بلادنا ، بقصد أو بغير قصد ، عداوات وخصومات وحروباً جانبية توضع جميعاً فوق المصلحة العليا المشتركة ، وفوق كلّ هدف أصيل في قضية مصيرية

إنّ الأحداث السياسية الأخيرة المرتبطة بسياسة النفط الخام وسياسة السلاح ، بالإضافة إلى التطوّرات الخطيرة الجارية في ساحة لبنان وفلسطين وعلى امتداد وطننا الإسلاميّ الكبير ، خليقة بأن تدفع كلّ من لا تزال لديه بقية من الإحساس بالمصلحة العليا ، وبقية من الفهم السياسي لواقع العالم والعصر أن يعيد النظر في هذه الأوضاع ، ويعيد النظر في الخطّ الذي يسير عليه ، ولا يزال بتمسّكه به يعيش على هامش أحداث التاريخ والعصر رغم كلّ ما قد يحاط به من المظاهر البرّاقة المخادعة

ولا مخرج لبلادنا الإسلاميّة عامة ، بما في ذلك البلدان العربية الخليجية إلاّ بالعودة إلى الإسلام عودة حقيقية على كلّ صعيد :

– سياسيّ يخرج بها من صراع النفوذ الدوليّ وفلك التبعيّات خروجاً فعلياً اعتماداً على وحدة الكلمة والارتبـــاط بالشعوب والاستفادة من الطاقات الكبرى المتوفرة ومن الظروف الدولية المواتية ، لخدمة مصلحة الإسلام والمـــسلمين العليا ، وخدمة قضايانا المصيرية التي يتهدّد مستقبلنا الدمار بتصفيتها

– واقتصادي يزيل التبعية الاقتصادية الراسخة ، وينقذ الطاقات المهدرة ، ويوجّهها في خدمة رفاهيـــة الـــشعب بسائر فئاته وخدمة المسلمين في سائر أقطارهم ، ويشيد بناء اقتصادياً حقيقياً .. لا مجتمعاً استهلاكياً تافهاً ، ويضمن مستقبلاً اجتماعياً عادلا .. لا منفعة محدودة لفئة دون أخرى ومظالم اجتماعية تؤديّ عاجلاً أو آجـــلاً إلى كارثـــة مؤكّدة

– واجتماعي وخلقيّ يعيد للأمة الإسلاميّة قدرتها على حمل رسالة الهدى والخير للبشرية جميعاً ، في عصر يفتقـــر إلى هذه الرسالة افتقار الشريد في الصحراء لنبع الماء

إنّ انتصار الإسلام أمر محتوم بوعد الله عزَّ وجلّ : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَـــى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف : ٩] ، ولكنّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه الكـــريم أيـــضاً : ﴿ ... **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨]